مُوجَز العمل

هذا العمل كما يبدو من العنوان: القصيدة النبويّة في سيرة محمّد بن عبد الله صلّى الله عليه وسلّم، هو قصيدة رائيّة من بحر البسيط تقع في (٢١٠٠٠) واحد وعشرين ألف بيت، ومطلعها:

مُحَمَّدٌ رَحْمَةُ الباري إلى البَشَرِ .. ذا خاتَمُ الرُّسْلِ حَتَّى مُنتَهَى الدَّهَرِ

ويَسْبِقُ القَصِيدَةَ تَمْهِيد، ولم يَكُن القَصْد من القصيدة والتّمهيد الإحاطة، إنّما اللّمحة الدّالّة، وهما متكاملان.

والقصيدة النبويّة تَحْمِلُ خَمْسَةً وعشرين عُنوانًا داخليًّا، يشير كلّ عنوان إلى ما تحته من أبيات. وقد حاولت القصيدة أن تسير مع حياة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم العطرة. وبإلقاء نظرة سريعة على هذه العناوين الدّاخليّة للقصيدة، تتّضح الزّوايا المختلفة الّتي نظرت منها القصيدة إلى هذه السّيرة العطرة.

وفي التّمهيد كانت هناك عناية باللّغة العربيّة، وخصائصها وسهولة النّظم فيها، وبنزول القرآن الكريم فيها أصبحت لغة الخلود، فلا يؤثّر الزّمن في قواعدها، وصَرْفها، وصِيَغها، ولا يؤثّر الزّمن في فهم نصوصها مهما يطل الزّمن. ومن هنا نحن نفهم أقدم نصوصها الشّعريّة، الّتي تعود إلى زهاء ألف وستّمائة سنة، تمامًا كما نفهم النّصوص الشّعريّة الفصحى الّتي تنظم اليوم، كما نفهم كلّ نصوصها الشّعريّة والنّثريّة.

وبسبب حفظ الله تعالى القرآن الكريم حُفِظَت اللّغة العربيّة الّتي نَزَلَ فيها القرآن الكريم. ولأجل هذا الحفظ كلّ تراث اللّغة العربيّة مفهوم، ومن هنا كان تراث اللّغة العربيّة بمقياس فهمه أقدم تراث الإنسانيّة جمعاء.

وحقيقة فهم تراث اللغة العربية بفضل نزول القرآن الكريم من هذه اللغة الشريفة، وحفظ الله تعالى لها، تؤكدها مقارنة بين تراث اللغة العربية، التي قامت بالدور العالمي في عصرها، وبين اللغة العالمية اليوم، وهي اللغة الإنجليزية.

إن مسرحيات شيكسبير، شاعر الإنجليز الأشهر، وشعره غير مفهومين من زمن بعيد لأساتذة اللغة الإنجليزية. وإنما يتم الفهم عن طريق المعاجم اللغوية التاريخية، وهو المتوفر عام ١٦١٦ ميلادية. وكيف تُفهم مسرحياته؟ عن طريق إعادة كتابتها باللغة الإنجليزية المعاصرة.

إن كل لغات الإنسانية تخضع لهذا التطور السريع، وبعد وقت يطول أو يقصر، تعاد ترجمة هذا التراث إلى اللغة نفسها، التي سوف تراجع هي الأخرى الشيخوخة.

وإن اللغة الوحيدة التي تتطور دون أن تتغير قواعدها، وصيغها، وألفاظها، هي اللغة العربية، لغة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

ومن أجل حفظ تراث الإنسانية ينبغي ترجمته إلى اللغة العربية التي تحتفظ دائما بشبابها ورونقها. وبعد عقود أو قرون يترجم ذلك التراث من اللغة العربية الشابة، إلى لغته الأصلية، بدلا من ترجمته من لغته الأصلية القديمة الميتة أو شبه الميتة.

إن ترجمة تراث الإنسانية إلى اللغة العربية مطلب حيوي. فلنتعاون على حفظ تراث الإنسانية بترجمته إلى اللغة العربية الخالدة، لغة القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة. ومن هذا المعنى قلت:

وكل الذي نحتاجه اليوم منهجٌ يترجم علمًا نافعًا وتيسيرًا يترجم ما فاقت به كل أمة، وجاد به فسيح العلم عبقر(١)

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. والحمد لله رب العالمين.

(١) السيرة النبوية من القرآن الكريم لفترة المدنية ٢/٣١٩ وعبقر موضع يُنسب إليه الأشياء الجيدة.